

من خصائص العربية

محمد السيد علي بلاسي
مدرس أصول اللغة المساعد
في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

I - دوران المادة حول معنى واحد

بعضها ببعض... والاشتقاق يكشف هذه الحقيقة، فلو تتبعنا مادة معجمية ودرسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها، لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هذه المعاني ويعد مركزا لها تنفرع عنه وتدور حوله..⁽¹⁾

فمثلا مادة (ح د ق) نجد أنها تدور حول الإحاطة والاستدارة، ومنها : حدقة العين، والحديقة، وأُحدق بهم الخطر... ونحو ذلك. وتلك ميزة، عزت أن تكون في لغة من اللغات إلا في اللغة العربية... !

فمثلا كلمتا أخ وأخت ترجعان إلى مادة (أخو) في العربية، على حين نجدهما مختلفين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية، فهما في الفرنسية مثلا : *sœur* و *frère*، وفي الإنجليزية *sister* و *brother*، ونحو

لقد ميز الله العربية بميزات عديدة جعلتها فريدة من نوعها بين اللغات ! من بين ذلك : دوران المادة فيها حول معنى واحد، بمعنى : أن كل مادة في العربية تدور حول معنى واحد مهما تصرفت..

فالألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه يمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدرى ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها، أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها في إطار واحد، وتتجانس وتتشاكل إلى حد يمكن منه معرفة الشقيق والغريب والدخيل، ويمكن منه كذلك معرفة نشوء اللغة كيف تطورت معالم ألفاظها ومعانيها وارتباطها

سيرها على العموم، والبلاغة : من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة : من اللين الفصيح الذي زال رغو، والدلالة للقافلة كالدلالة في الكلام...⁽⁶⁾.

وتلك صورة من صور التمام اللغوي الذي اتسمت به لغتنا الخالدة، ولم يكن هذا التمام الكلي الشمولي الجامع للغة العربية ناجما عن تطور تكاملي، وتدرجي متنام، استغرق أزمانا تاريخية مديدة، كما لم يكن ناتجا عن عمل تشكيلي مصنوع، نشأ على أيدي علماء اللغة، وإنما كان شيئا ذاتيا مطبوعا، فطرت عليه هذه اللغة منذ أن وجدت، ولازمها طوال حياتها، وسيكون إياها أبد الأبد...⁽⁶⁾.

نشأة فكرة الدوران وتطورها :

ونظرا لأن فكرة الدوران تدور حول التقلبات للمادة، لذا فتحن نرى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو الهادي لهذه الفكرة - وإن لم تكن قد قررت بعد - وذلك من خلال معجمه «العين»، حيث رتبته ترتيبا صوتيا متبعا طريقة التقلبات التي تلحظ وضع الكلمة وتقلباتها في مكان واحد مهما اختلف ترتيبها، وهذا المكان هو أبعد الأصوات مخرجا..

وليس غريبا على الخليل - عالم اللغة المشهور - أن يكون هو الرائد في مثل تلك الهداية، فلقد كان دائما - كما يقول محقق كتابه «العين» : «نبراسا وهديا لعلماء اللغة، والنحو، والصرف، والعروض، والعلوم اللسانية بصفة عامة، بأفكاره وتعليقاته وابتكاراته!»⁽⁷⁾.

ولقد سار على نهجه الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة» متبعا طريقة الخليل من حيث التقلبات الصوتية ومثله أبو علي القالي في بارعه، إلى أن جاء

كثير.. وتلك ميزة للغتنا الشاعرة : فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت، اتفق أو تقارب المعنى، والعكس بالعكس...⁽⁸⁾.

هذا بخلاف اللغات الأخرى، فإننا نجد فيها كلمات لا يوجد ما يدل على أنها من أصل واحد مع تقاربهما في الحروف، مثل كلمتي canine وchien في الفرنسية، إذ المعنى مختلف بينهما تماما، فالأولى بمعنى (عادات) والثانية بمعنى (كلب).

كذلك نجد كلمات ذات أصل معنوي واحد، غير أنها لا تشترك في المادة، مثل كلمتي capitain (رئيس فريق كرة) وchef (رئيس حكومة)، لهما أصل معنوي واحد هو الرئاسة، ولا يشتركان في مادة واحدة - فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى - مع أنهما يرجعان إلى كلمة : caput اللاتينية ومعناها (الرأس)⁽⁹⁾.

كذلك لفظ (الصديق) في العربية من الصدق (والعدو) من العدوان، في حين أن كلمة : ami = صديق في الفرنسية وهي مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة وكلمة ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفي المحبة أي بمعنى البغض. فالمفهوم العربي للصدقة مبني على الصدق وللعداوة على العدوان، على حين أنه عند الفرنسيين مبني على أساس الحب والبغض!⁽¹⁰⁾.

من هنا، فإن اللغة العربية - كما يقول الأستاذ العقاد - : تعتبر في مقدمة اللغات جميعا، تعبيرا ودلالة، وتصويرا للمجتمع الذي لهج - ويلهج - بها، ففي ألفاظها التي طبعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدل على أصلهم وتاريخهم وعقليتهم، فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة. فالكتابة والشكل : بمعنى القيد، والرسم : أثر خطو الإبل على الرمل في رسمها أو

ابن دريد فألف معجمه «جمهرة اللغة» على طريقة التقليلات إلا أنه اتبع نظام الترتيب الهجائي العادي. وكانت طريقة التقليلات. - وخاصة عند ابن دريد - وكذلك طريقة الاشتقاق، التي سار عليها في كتبه، لاكتناه أسرار العربية : فاتحة عهد جديد في إدراك خصائص العربية، في دوران المادة حول معنى واحد، أو أكثر، وقد مهد ذلك الطريق الوعر لمن يستطيع السير فيه. ومن سار على دربه في اجتياز هذا المسلك الشاق، وركب هذا المركب الصعب، وأكد سلامة السير فيه، عبقرى اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، الذي استطاع أن يوسع دائرة الاشتقاق، ويبتكر - على أساسه - الاشتقاقيين الكبير والأكبر، وكذلك معاصره أحمد بن فارس، فقد ألف معجمه «مقاييس اللغة»، منتهجا هذا المنهج - وإن اتبع في ترتيبه وترتيب كتابه الآخر المسمى بالمجمل طريقة الأبجدية العادية - . وكلا هذين العلمين في اللغة قد اعترف بأنه اطلع على كتب التقليلات، كالعين، والجمهرة، وإن لم يركن ابن جني إليها، لما وجد فيها من الخلط والاضطراب^(١٠).

وعلى أية حال، فإن عالم اللغة الفذ ابن جني يعتبر هو المؤسس الحقيقي للاشتقاق بنوعيه الكبير والأكبر، والذي أرسى على أساسه العربية، وبين أصولها وفروعها، وأصيلها وزائدها، ودلالاتها خاصة كانت أو عامة، وأصواتها، وما يحدث لها من إبدال، وغير ذلك مما يدل على سمو العربية، ويبين مبادئها اللغوية^(١١).

الاشتقاق.. وفكرة الدوران :

من المقرر أن الألفاظ في اللغة العربية لها أصل ترجع إليه يمثل المادة الأصلية التي تدل على المعنى المصدرى، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى

كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها في إطار خاص.

فلو تتبعنا مادة معجمية، ودرسناها، وأمعنا النظر في المعاني التي تدور عليها ألفاظها لوجدناها ترتبط بمعنى عام يضم كل هذه المعاني، ويعد أصلا لها تتفرع عنه.

وتكشف عن هذا دراسة الاشتقاق - بأنواعه الثلاثة - : الصغير، والكبير، والأكبر^(١٢).

١- الاشتقاق الصغير : وهو ما اتحد فيه المشتق، والمشتق منه حروفا وترتيبا^(١٣). وكأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه^(١٤).

فلو تتبعنا بعض المشتقات على هذا الطريق، لوجدنا أن الألفاظ التي تتألف مادتها الأصلية من حروف واحدة تدور حول معنى واحد.

مثال ذلك : مادة (س ل م) فإنها تدور حول معنى السلامة في تصرفها، نحو : سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسلم : اللديغ، أطلق عليه تافؤلا بالسلامة^(١٥).

ب- الاشتقاق الكبير : ويسميه ابن جني بـ : الاشتقاق الأكبر، ويوضحه بقوله : أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه زد بلطف الصنعة والتأويل إليه^(١٦).

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة : -
أولا : مادة (ج ب ر) : فهي أين وجدت

ثانيا : مادة (ق س و)، وتراكيبها : (ق س و)، (ق و س)، (و ق س)، (و س ق)، (س و ق)، وأهمل (س ق و) . وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع .

الأصل الأول : (ق س و) : ومنه :
القسوة : شدة القلب واجتماعه .

الأصل الثاني : (ق و س) : ومنه : القوس :
لشدتها، واجتماع طرفيها .

الأصل الثالث : (و ق س) : ومنه :
الوقس : لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويفحله .

الأصل الرابع : (و س ق) : ومنه : الوسق :
للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته . ومنه : استوسق
الأمر : اجتمع . والليل وما وسق : أي جمع .

الأصل الخامس : (س و ق) : ومنه :
السوق : وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه
إلى بعض، وعليه قول العجاج :

مستوسقات لو يجدن سائقا

فهذا كقولك : مجتمعات لو يجدن جامعا .

ثالثا : مادة (س م ل)، وتراكيبها : (س م ل)،
(س ل م)، (م س ل)، (ل م س)، (ل س م) .

والمعنى الجامع لها المشتمل عليها هو :
الإصحاب والملاينة .

الأصل الأول : (س م ل) : ومنه : الثوب
السمل : وهو الخلق، وذلك لأنه ليس عليه من الوبر
والزئير ما على الجديد، فاليد إذا مرت عليه للمس لم
يستوقفها عنه جدة المنسج، ولا خشنة الملمس .
ومنه : السمل : الماء القليل، كأنه شيء قد أخلق .

وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض
وتأخره عنه، إنما هو للقوة والشدّة . وجهات تراكيبها
الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي :
(ج ب ر)، (ج ر ب)، (ب ج ر)، (ب ر ج)،
(ر ج ب)، (ر ب ج) .

الأصل الأول : (ج ب ر) : منه : جبرت
العظم والفقير إذا قويتها وشدت منها . والجبر :
الملك لقوته وتقويته لغيره .

الأصل الثاني : (ج ر ب) : تقول : رجب
مغرب : إذا جرت الأمور ومجذته، فقويت مُتته،
واشدت شكيمته . ومنه : الجراب : لأنه يحفظ ما
فيه، وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى .

الأصل الثالث : (ب ج ر) : والأبجر
والبجرة : القوي السرة .

الأصل الرابع : (ب ر ج) : ومنه : البرج :
لقوته في نفسه وقوة من عليه به . والبرج : لقاء
بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس
بلون مستضعف .

الأصل الخامس : (ر ج ب) : ومنه : رجبت
الرجل : إذا عظمته وقويت أمره . ومنه : رجب :
لتعظيمهم إياه عن القتال فيه . ومنه : الرجبة : فإنه
إذا اكرمت النخلة على أهلها فمالت ذعموها
بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به . ومنه :
الراجعة : أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها .

الأصل السادس : (ر ب ج) : ومنه :
"رباجي : وهو الرجل الذي يفخر بأكثر من فعله،
قال الشاعر :

ونلقاه رباجيا فخورا

تأويله : أنه يعظم نفسه، ويقوي أمره .

وضعف عن قوة المضطرب، وجمة المرتكض، ولذلك قال الشاعر :

حوضا كأن ماءه إذا غسل من آخر الليل رو بزى سهل
الأصل الثاني : (س ل م) : ومنه : السلامة :
وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به.

الأصل الثالث : (م س ل) : ومنه : المسئل والمسئل والمسئل : كله واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلا في مذهب له وإمام متقاد به، ولو صادف حاجزا لاعتاقه فلم يجد متسربا معه.

الأصل الرابع : (م ل س) : ومنه : الأملس والملمس : وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له.

الأصل الخامس : (ل م س) : ومنه اللمس : وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس، فإنما إهواء باليد نحوه، وصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولا يد مع لمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه. ومنه : الملامسة : «أو لامستم النساء» : أي جامعتم، وذلك أنه لا بد هناك من حركات واعتمال، وهذا واضح.

الأصل السادس : (ل س م) : وهو مهمل. وعلى أنهم قد قالوا : نسمت الريح : إذا مرت مرا سهلا ضعيفا، والنون أخت اللام، وقالوا : ألسمت الرجل حجته : إذا لقتته وألزمته إياها.

قال الشاعر :

لا تلمسُنْ أبا عمران حجته ولا تكونن له عوناً على عمرا
فهذا من ذلك، أي سهلتها وأوضححتها^(١٥).

ج - الاشتقاق الأكبر : - وهو ما اتحد فيه

المشتق والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي وكان يختلف فيه متحدا مخرجا أو صفة..^(١٦).

وقد أفاض ابن جني في شرحه للاشتقاق الأكبر، ورتب عليه نتائج مهمة من دوران المادة حول معنى واحد، بتنوع الحروف المتبادلة، ومناسبتها لمعانيها الموضوعية لها.

مثال ذلك : - سدّ وصدّد - بفتح السين وضم الصاد فالسين والصاد من مخرج واحد، هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى، ومتفقان في معظم الصفات، واللفظان يدلان على معنى واحد هو الحاجز، ولكنه يختلف قوة وضعفا ممّا جعل الحرفين يختلفان، فالسدّ للباب بسد والصد جانب الجبل، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز، ورأس القارورة، ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها للأضعف..^(١٧).

من هنا، ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها، وتقلباتها حول معنى واحد عن طرائق الاشتقاق بأنواعها الثلاثة.

وهذا السلوك لم يكن واضحا لدى أرباب المعاجم اللغوية وإنما كانوا يذكرون الكلمات، وتقلباتها، ومعانيها دون محاولة للربط بينها، وقد حاول علماء اللغة - ومنهم ابن جني وابن فارس - تطبيق هذا المبدأ، وإيضاحه بالتفصيل في مواد كثيرة^(١٨).

ونظرية الدوران حول معنى واحد التي عرفها القدماء قد أوحى إلى المحدثين بسلوك هذا السبيل، وتحقيق النتائج الموقفة من طرائقه، فقد أدركوا أنه ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، والذهن يميل دائما في جمع الكلمات إلى اكتشاف عربي جديد يجمع بينها، والكلمات تتشبه دائما بعائلة لغوية بواسطة دوال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها، أو

6- تعيين على الوصول إلى أصل حروف الكلمة : ويوضح ذلك ابن جني بقوله : «ألا ترى أن أبا علي - رحمه الله - كان يقوى كون لام (أثنية) فيمن جعلها (أفعولة) واواً بقولهم : جاء يثفة، ويقول : هذا من الواو لا محالة كيعبده. فيرجع بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في يثفوه وتثفيه. أفلا تراه كيف استعان على لام ثفا بقاء وثف، وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة، فكأنها لفظة واحدة!»⁽²⁶⁾.

7- وأوسع هذه الفوائد، هو فهم اللغة، والتفقه فيها، وفهم أسرارها والدخول في عالمها الخاص، بهذا الربط المعنوي⁽²⁷⁾.
وبعد :

فمع أن لدوران المادة حول معنى واحد هذه القيمة اللغوية والاجتماعية، ومع أن لغتنا العربية تمتاز بها، إلا أنها ليست مطردة في كل مواد اللغة، لأنه يصعب في بعض المواد، ويخفى في بعض آخر، ومع هذا فإنك إن أنعمت النظر ولاطفته، تركت الضجر وتحاميته لم تكذبك عن قرب بعض من بعض وإذا تأملت ذلك وجدته بإذن الله، فهو - كما يقول ابن جني - : موجود في أكثر الكلام، وفرش اللغة وإنما بقي من يثيره، ويبحث عن مكنونه..⁽²⁸⁾.

بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها، لا أكثر من ذلك، فنحن نشعر بأن الكلمات : إعطاء، عطية، عطاء، معط.. الخ، عائلة قائمة بذاتها تتميز بعنصر مشترك هو الأصل (ع ط ي) مهما تنوعت معاني المشتقات⁽¹⁹⁾.

فائدة نظرية الدوران :

1- تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد⁽²⁰⁾.

2- معرفة الأصيل من الدخيل : فكلمة (مقاليد) بمعنى : مفاتيح، قد ظن أنها من مادة (قلد) وهو خطأ أمكن كشفه عن طريق الاشتقاق التاريخي، فبين أنها جمع (إقليد) وأصلها يوناني، وهو kleida⁽²¹⁾.

3- تفيد في إدراك الأحوال الاجتماعية للأمة التي تنطق باللغة كالصفقة⁽²²⁾، والعقد⁽²³⁾ واليمين، فهذه تدل على عادات عربية قديمة. بل يكشف عن عمليات الأمم ومفاهيمها، كاشتقاق (الصديق) و(العدو) و(العقل) في العربية والفرنسية⁽²⁴⁾ - على نحو ما وضحناه آنفاً -.

4- توضح معاني الكلمات - أحياناً - فقال من (القول) وبناء من (ب ن ي)⁽²⁵⁾.

5- الوقوف على المستعمل والمات من الكلمات.

II - الإتياع في اللغة العربية

صور الإتياع :

أ - أن تكون كلمتان متواليان على روي واحد. مثل : حسن بسنن.

ب - أن يختلف الرويان : مثل : ليلة ليلاء. وتأتي هذه الصورة على وجهين :

أحدهما : أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى. والثاني : أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق، إلا أنها كالإتياع لما قبلها^(١).

الإتياع الصوتي :

ما ذكرناه من صور الإتياع يدخل تحت طي إتياع الكلمة بأخرى، تشركها في معظم حروفها، وتتفق معها في وزنها وفي رويها غالبا.

غير أنه في لغة العرب صورة أخرى للإتياع يختص بالحركات، وهو ما يعرف بـ : «الأتياع الصوتي» وقد نسبة العلماء - غالبا - إلى قبيلة «تميم»، حيث ورد في كلمات كثيرة عندهم إتياع الحرف الأول من الكلمة للحرف الثاني في الحركة : قصدا للتخفيف، وعدم إعطاء الجهد العضلي في النطق. مثل «ضِحِكْ ضِحِكًا»، عوضا عن «ضِحِكْ ضِحِكًا»، فقد أثر صوت الحاء المكسور - وهو عين هذه الكلمة - على الضاد المفتوحة في أولها، فلم تعن تميم نفسها في تحقيق صوتين متعاقبين متنافرين، واستسهلت إتياع أولهما ثانيهما بسبب القرب والجوار^(٢). ومن ذلك - أيضا - قولهم : لِيَمِ، نَحِيف، رَغِيف، كلها بكسر الحرف الأول^(٣).

أنواع الإتياع :

يوضح القالي في «أماليه» أنواع الإتياع، فيذكر أنها على ضربين :

كثيرا ما نستعمل في كلامنا الدارج كلمات متبعة بكلمات تتفق معها في وزنها وفي رويها غالبا. مثل : فلان وقع في حَيْص يَيْص، ورأيت اليوم امرأة شهلة كهلة، وظهرت مجلة «اللسان العربي» في ثوب جديد قشيب...

والحق أن هذه الاستعمالات التعبيرية عربية فصيحة، وقد وردت في بعض الأحاديث النبوية، مثل قول الرسول ﷺ للنساء اللاتي جلسن في انتظار الجنائز : «ارجعن مأزورات غير مأجورات» (رواه ابن ماجه). وقد عرفت مثل هذه التعبيرات - لدى علماء اللغة - باسم : «الإتياع» وليست العربية بدعا في هذا الباب، فلقد شاركتها لغات أخرى فيه..

وفي هذا المقال سوف نجلي هذه الظاهرة اللغوية التعبيرية من حيث : معناها، وعلّة تسميتها بذلك، وصورها في لغة العرب، وأنواعها، والغرض منها، والفرق بينها وبين الترادف والتوكيد والإبدال. معنى الإتياع :

لقد عرفه عالم اللغة «ابن فارس» بقوله : «أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيذا»^(٤) مثل : عطشان نطشان ويوم أيوم، وليلة ليلاء...

علّة التسمية بالإتياع :

وإنما سمي إتياعا، لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل : إتياع^(٥). ومن هنا فإن التابع لا يكون بالواو، وقد صرفت أمثلة كبيرة بالواو عن باب الإتياع مثل : حياك الله وبياك، وما قيل في زمزم : هي لشارب حلّ وبل^(٦).

الفرق بين الإبتاع والتوكيد :

أ - التابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع، بخلاف التوكيد فإنه لا يشترط فيه ذلك^(١١).

ب - التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز^(١٢).

ج - التأكيد يحسن فيه الواو العاطفة، بخلاف الإبتاع^(١٣).

د - الإبتاع يكون للكلمة التي يختص بها معنى ينفرد بها من غير حاجة إلى متبوع^(١٤).

الإبتاع داخل في حكم التوكيد :

يذكر ابن الدهان في «الغرة» : أن من التوكيد قسما يسمى الإبتاع، نحو : عطشان نطشان. ويستدل على ذلك بكون الإبتاع توكيدا للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه.

ويرى ابن الدهان : أن الإبتاع من باب التوكيد اللفظي، نحو : رأيت رجلا رجلا، غير أنه في الإبتاع غير منه حرف، مثل : حسن بسن، وعطشان نطشان، وشيطان ليطان...

وقال قوم : هذه الألفاظ تسمى إبتاعا وتوكيدا^(١٥)، وهو الأقرب - في رأينا - إلى الصواب، حيث بينا - آنفا - أن هناك فروقا بين الإبتاع والتوكيد، كما أن من سمة الإبتاع التوكيد..

صلة الإبتاع بالإبدال :

جعل بعض العلماء كثيرا من صور الإبدال تدخل في باب الإبتاع على أساس اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفا واحدا، فقال في مثل حارّ يارّ : إن الحاء بدل من الياء. وفي قسيم وسيم : إن القاف بدل من الواو. وفي مثل جديد قشيب : إن القاف بدل من الجيم وهكذا... ومن المعلوم في باب الإبدال : أنه لا بد من وجود تقارب بين المبدل والمبدل منه، ولم يتحقق ذلك في الإبتاع إلا نادرا، لذا فإن ما ذكر من هذا اللون إنما هو من قبيل الإبتاع لا الإبدال^(١٦).

أ - ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به توكيدا، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. مثل قولهم : رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل. وضئيل بثيل بمعنى واحد، وجديد قشيب بمعنى واحد أيضا.

ب - وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول، مثل ما يرويه أبو عبيد في غريب الحديث : في قوله ﷺ في الشبرم :^(١٧) إنه حار يار. قال الكسائي : حار من الحرارة ويار إبتاع.

ومن هذا الضرب - أيضا - قول العرب : حسن بسن، وجامع نائع، وعطشان نطشان^(١٨). والكلمة الثانية في هذا الضرب إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل إبتاع^(١٩).

الغرض من الإبتاع :

روى أن بعض العرب سئل عن ذلك، فقال هو شيء تئيد به كلامنا^(٢٠). ويرى الدكتور إبراهيم نجما - رحمه الله -^(٢١) أن الغرض من الإبتاع :

أ - التوكيد : إذا كان الثاني بمعنى الأول. نحو : يوم أيوم، وليلة ليلاء.

ب - الإشباع : إذا لم يفد معناه. نحو : عطشان نطشان، وعفريت نفريت^(٢٢).

الفرق بين الترادف والإبتاع :

أ - يفيد المترادفان فائدة واحدة من غير تفاوت. أما التابع فلا يفيد وحده شيئا، بل شرط كونه مفيدا تقدم الأول عليه^(٢٣).

ب - يتميز التابع، بأنه لا يستقل وحده في الاستعمال، وأنه لا يتعين للتوكيد، بخلاف المترادف، فإنه إذا تكرر، أفاد التوكيد حتما^(٢٤).

الهوامش

I - دوران المادة حول معنى واحد

- (1) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 6، 175، 176 - بتصرف - ط 3 - مطبعة الحضارة العربية سنة 1406هـ.
- (2) انظر المرجع السابق : ص 178 وهامشها.
- (3) نفس المرجع : ص 7، 178 وهامشها، وراجع : خصائص العربية ومنهجها الأصلي : د. محمد المبارك، ص 29، نجد مزيدا من التفصيل.
- (4) د. محمد المبارك : فقه اللغة، ص 138، ط. جامعة دمشق سنة 1379هـ.
- (5) عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة، ص 42، ط. نجيم سنة 1960م.
- (6) إسماعيل العرفي : اللغة العربية... أم اللغات، ولغة البشرية، ص 15، ط. أولى - دار الفكر بدمشق سنة 1406هـ.
- (7) د. عبد الله درويش : مقدمة كتاب العين للخليل 5/1، ط. بغداد سنة 1386هـ.
- (8) د. عبد الغفار هلال : علم اللغة بين القديم والحديث، ص 36، 37 - بتصرف - ط. الجبلاوي 1406هـ.
- (9) المرجع السابق : ص 38، 39.
- (10) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 175، 176.
- (11) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 49، ط 1 السعادة سنة 1965م.
- (12) العلامة ابن جنبي : الخصائص 134/2، تحقيق محمد علي النجار، ط 2 - دار الهدى - بيروت.
- (13) المصدر السابق : 134/2. وراجع : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها : د. عبد الغفار هلال، ص 176 نجد مزيدا من التفصيل.
- (14) العلامة ابن جنبي : الخصائص 134/2.
- (15) المصدر السابق : 135/2-138 - بتصرف. ولزيد من التفصيل راجع : فقه اللغة : د. إبراهيم محمد أبو سكين، ص 33-41، ط. الأمانة سنة 1404هـ.
- (16) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 49.
- (17) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية... خصائصها وسماتها، ص 173 - بتصرف يسير -.
- (18) المرجع السابق : ص 177.
- (19) نفس المرجع : ص 170.
- (20) المرجع السابق : ص 170.
- (21) د. محمد المبارك : فقه اللغة، ص 60.
- (22) تصوير لما كان يحدث بين المتبايعين من ضرب اليد على اليد، ولا يزال يحدث في البيع والشراء ونحوهما في الوقت الحاضر.
- (23) كان المتعاقدان على أمر يعقدان طرفي توبيخهما.
- (24) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 179 وهامشها.
- (25) المرجع السابق : ص 178.
- (26) العلامة ابن جنبي : الخصائص 139/2.
- (27) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص 178.
- (28) العلامة ابن جنبي : الخصائص 13/1، 138/2، 152، وانظر : اللغة العربية... خصائصها وسماتها. د. عبد الغفار هلال، ص 179.

II - الإتياع في اللغة

- (1) ابن فارس : الصحابي، ص 458، ط. المكتبة السلفية بالقاهرة سنة 1328هـ.
- (2) السيوطي : الزهر 415/1، ط. عيسى الياباني الحلبي.
- (3) المصدر السابق : 415/1 - بتصرف -.
- (4) ابن فارس : الإتياع والزواج، ص 28، تحقيق كمال مصطفى، ط. السعادة بمصر.
- (5) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 102، ط 10 - دار العلم للملايين سنة 1983م.
- (6) ابن سيده : المخصص 213/14، ط. بولاق 1316 هـ. وراجع : في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس، ص 98، ط 6 - مكتبة الأنجلو المصرية.
- (7) الشبرم : ضرب من الشح.

- (8) السيوطي : الزهر 416/1، نقلا عن أمالي القالي، وراجع : دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح، ص 239، وما بعدها، نجد مزيدا من التفصيل.
- (9) السيوطي : الزهر 415/1.
- (10) ابن فارس : الصحاح، ص 458.
- (11) د. إبراهيم محمد نجا : كان عميدنا سابقا لكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر، ويخبر المؤسس لقسم أصول اللغة بها، وله العديد من المؤلفات اللغوية.
- (12) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 76، ط 1 — السعادة سنة 1965م.
- (13) السيوطي : الزهر 415/1، — بتصرف يسير.
- (14) د. إبراهيم نجا : فقه اللغة العربية، ص 76.
- (15) - (16) السيوطي : الزهر 146/1.
- (17) - (18) المصدر السابق : 425/1.
- (19) نفس المصدر : 425, 424/1.
- (20) مجلة كلية اللغة العربية بالقازيق — جامعة الأزهر، العدد الخامس - من مقال بعنوان : «الأشتقاق عند اللغويين» : د. فحي الداهولي، ص 369 — بتصرف.